من روائع حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين

أصناف المغرورين

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

دراسة وتحقيق وتعليق
عبد اللطيف عاشور

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق
القاهرة - ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن

مقدمة المحقق

فى كل مكان وزمان يقول القرآن للإنسان :

﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** ﴾ .

(الانفطار : ٦)

والغُرور ــ والعياذ بالله ــ أشكال وألوان والمغرورون أصناف وفئات جاء ذكرهم فى كثير من الآيات .

ويكشف القرآن الكريم عن مصادر الغرور فيقول :

﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغَرُور** ﴾[1] .

(لقمان : ٣٣)

ويقول جل شأنه :

﴿ **وغرتكم الأَمانيُّ حتى جاء أمر الله** ﴾

(الحديد : ١٤)

ثم يقول :

﴿ **وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون** ﴾

(آل عمران : ٢٤)

---

(١) بفتح الغين : الشيطان . لكثرة ما يغر ويخدع سمى غَرُوراً .

ولقد كان الإمام على ـــ رضى الله عنه ـــ يعرف الدنيا على حقيقتها فيواجهها بقوله :

« **يا دنيا غُرِّى غَيْرى** »

وكيف لا تكون دنيانا « دار الغُرور » وقد منح الشيطان فيها حق « الإغراء والإغواء والإضلال » أليس هو « الغَرور » مهنته أن يَغُرَّ الناس : مؤمنَهم وكافرهم ، طائعَهم وعاصيهم ، عالمهم وجاهلَهم وليس هناك من ينجو من إغرائه وإغوائه إلا من عصم الله .

من هذا كله نرى حجة الإسلام الغزالى فى هذا الكتاب « الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين » يتصدى للمغرورين .. يكشف عن منشأ غرورهم ، ويبين أصنافهم وفرقهم ، ويشخص الداء ، ويصف الدواء محاولاً أن يسد فى وجه الشيطان كل أبواب الإغراء والإغواء ليجنبنا شر الغرور ، ويأخذ بأيدينا بعيداً عن دائرته فى عبارة موجزة وبيان سهل حتى لا يداخلنا الغرور ..

نسأل الله سبحانه أن نكون ممن يرجون تجارة لن تبور .

وها هو ذا بيان توضيحى بأصناف الخلق أجمعين وأصناف المغرورين من المؤمنين .

المحقق

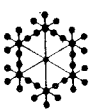

دراسة التحقيق

- هذا الكتاب .
- المؤلف .
- عصره .
- مؤلفاته .
- حجة الإسلام مؤلفاً ومجدداً .
- منهج التحقيق .

هذا الكتاب

هذا كتاب آخر من « روائع حجة الإسلام » أبى حامد الغزالى نقدمه لقرائنا لينضم إلى مجموعة الغزالى التى قدمناها من قبل .

وقد عثرنا عليه بين مخطوطات دار الكتب المصرية تحت رقم (١٦٤ ــ أخلاق تيمور) ويقع فى ثلاثين صفحة من القطع الكبير .

وتحمل الصفحة الأولى من المخطوط عنوان الكتاب بخط ناقله : « أصناف المغرورين » .

وفى نهاية صفحاته يقول ناقله : « **عثمان بن العلامة الشيخ سلمان** » :

« وكان الفراغ من نقل هذا التأليف ليلة الخميس المبارك لخمس وعشرين مضين من شهر شعبان الذى هو من شهور عام ١١٨٢هـ » .

ولكن عندما نعود إلى مقدمة « المخطوط » نجد حجة الاسلام الغزالى يذكر اسم الكتاب كما سماه هو فيقول :

« هذا كتاب الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين » .

ولقد تبينا من خلال البحث عَن مؤلفات الغزالى التى تم طبعها أن هناك « مطبوعاً » بنفس الاسم الذى سماه به الغزالى ، لكنه لم يلق من الاهتمام ما يستحقه فقد طبع بهامش كتاب « **تنبيه المغترين للشعرانى** »

فى طبعة قديمة من مطبوعات دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه .. لا تحمل تاريخ طبعها .

وأخذنا ندرس المخطوط ، ونراجعه على النص المطبوع ، لنقدمه لقرائنا فى كتاب مستقل بعد أن نعطيه حقه من التحقيق .

ولقد لفت نظرنا ونحن نراجع المخطوط أن الإمام الغزالى يحيل القارىء الذى يبغى المزيد والتوسع إلى « إحياء علوم الدين : مداخل الآفات « ربع المنجيات » .

وعدنا إلى كتاب الإحياء لنجد الغزالى يفرد باباً من أبوابه تحت عنوان « كتاب ذم الغرور » تناول فيه أصناف المغرورين بتوسع !!

وعند ذلك أدركنا أن الإمام الغزالى قد أفرد للغرور ـــ من بين الآفات ـــ كتاباً مستقلاً ، ضمنه هذا المخطوط نظراً لوقوع الكثيرين فيه من العلماء والعُبَّاد ، والمتصوفة ، وأرباب الأموال ، والفقراء .. حتى يكون فى متناول الجميع .. ليدرك كل منا غروره وليفسد على الشيطان مداخله !! ويفصح عن ذلك كله فى مقدمة « المخطوط » فيقول :

« ثم رأيت الغرور لازماً لجميع المؤمنين المكلفين والكافرين إلا من عصمه الله رب العالمين » .

وأنا ـــ بحمد الله ـــ أكشف عن غرورهم ، وأبين الحجة فيه ، وأوضحه غاية الإيضاح ، وأبينه غاية البيان ، بأوجز ما تكون العبارة وأبدع ما تكون الإشارة .

أرأيت أيها القارىء العزيز أنه هنا فى « المخطوط » يقدمه موجزاً ، وهناك فى « الإحياء » يطيل ويطنب .

ولك أيها القارىء العزيز أن تكتفى بهذه الخلاصة الموجزة المركزة ، وبخاصة ، وصاحبها هو الذى قدمها .. فخير الكلام ما قل ودل ، وقد قال الخليفة أبو بكر فى أول خطبة له « **كثير الكلام يُنْسى بعضه بعضاً** » .

ومن حقك أيها القارىء أن تعيش مع الغزالى فى إحيائه إن أردت المزيد .

كل ما يهمنا أن تعرض نفسك على حجة الإسلام الغزالى وتتحسس خطاك بين هذه الأصناف التى تعرض لها من المغرورين حيث تناولها بالشرح والتحليل ، فقد تكون ـــ حاشاك الله ـــ من هؤلاء أو أولئك دون أن تدرى .

وكما نطلب من الله السلامة والعافية لأنفسنا فى ديننا ودنيانا نطلبها لإخوتنا وأخواتنا من المؤمنين والمؤمنات .

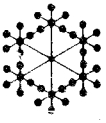

المؤلف أبو حامد الغزالى فى سطور

- ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى فى قرية « غزالة » من أعمال « طوس » سنة ٤٥٠ هـ ..
- تنقل فى طلب العلم ما بين « طوس » إلى « جرجان » و « نيسابور » حيث لازم إمام الحرمين الجوينى ، وصار من أخص تلاميذه .
- لقى الوزير « نظام الملك » بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته ، وأنزله خير منزل ، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية « ببغداد » بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات فى عدة مجالس استوجبت إعجاب نظام الملك . وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرحال .
- ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سائحاً متصوفاً (عام ٤٨٨) ، وبدأ بالحج ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً ، وفى عُزلته ببلاد الشام ألف « كتاب الإحياء » ثم انتقل إلى بحيث المقدس ، ثم قصد مصر ، وأقام بالإسكندرية مدة ، ويقول « ابن خلكان » إنه قصد الركوب منها فى البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمير « يوسف بن تاشفين » صاحب « مراكش » فبلغه نعيه ، وعندئذ صرف عزمه عن تلك الناحية ، وعاد إلى بغداد ثم خراسان .

- درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى ، ثم رجع إلى طوس ، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية .
- قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥) فى مدينة الطابران قصبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً .

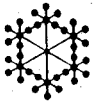

عصر الإمام الغزالى

١ ــ هو عصر السلاجقة الذين قاموا بمناصرة أهل السنة على الشيعة .

٢ ــ وهو العصر الذى نشط فيه الباطنية .

٣ ــ كما ازدحم العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن عجيباً ولا غريباً أن يتصدى « حجة الإسلام » الغزالى لهؤلاء وأولئك .. بالرد .. والتفنيد .. والمناهضة ويعلنها حرباً .. ويشن هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسيلته فيها المناظرة والمجادلة والتأليف ، والتصنيف .

مؤلفاته .

لو تصدينا لعد مؤلفاته وحصرها لوجدنا أنها تزيد على السبعين مؤلفاً ؛ منها ما رأى النور ، ومنها ما لا يزال مخطوطاً .. ومن مؤلفاته :

١ ــ تهافت الفلاسفة .
٢ ــ مقاصد الفلاسفة .
٣ ــ عقيدة أهل السنة .
٤ ــ فضائح الباطنية .
٥ ــ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة .
٦ ــ تنزيه القرآن عن المطاعن .
٧ ــ التبر المسبوك فى نصيحة الملوك .
٨ ــ مكاشفة القلوب .

٩ ــ المنقذ من الضلال .
١٠ ــ ميزان العمل .
١١ ــ إلجام العوام عن علم الكلام .
١٢ ــ إحياء علوم الدين .
١٣ ــ الوسيط « فى علم الفقه » .
١٤ ــ البسيط « فى علم الفقه » .
١٥ الوجيز « فى علم الفقه » .
١٦ ــ الخلاصة « فى علم الفقه » .

إلى غير ذلك من كتبه التى تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .

حجة الإسلام الغزالى مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أنّ نقسم عمل حجة الإسلام وإنتاجه وتجديده فى ناحيتين :

الأولى : نقده للفلسفة ومناقشته لها ، وتجديده لعلم الكلام الذى فقد جدَّته وحياته .

الثانية : « الحِسْبة » على المجتمع الإسلامى المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتحلى بالحقائق .

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » وقد صنف الغزالى هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد فى طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس. الغزالى إذن مصلح اجتماعى يخصص جزءاً من كتابه بذم الغرور يذكر فيه أصناف المغترين ، وفرق كل صنف ، ذكر منهم المغترين من أهل العلم ، وفرقهم ، والمغترين من المتصوفة ، والمغترين من أرباب الأموال وفرقهم ، وقد ذكر منافذ الشيطان ومداخل النفس فى هذه الطبقات وأصنافها وذكر من أفكارهم ومزالقهم وعقدهم النفسية ما لا يطلع عليها إلا عالم كبير من علماء النفس[1] .

وقد انتقد العلماء والمشتغلين بالعلم فى غلوائهم فى الإكثار من الجزئيات الفقهية ، والخلافيات ، والكلام ، والجدل ، والتعمق فى ال[illegible] : كالنحو واللغة ، والشعر والغريب ، والانهماك به .

---

[1] المودودى ـــ حجة الإسلام الغزالى .

نقده للصوفيه :

وانتقد الصوفيه : بالاكتفاء بحفظ أقوال المشائخ وأخبارهم ولاحظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها .

فأما علم الطب والحساب والصناعات ، وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع ، فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم ؛ فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع .

ولقد ذكر من التباسات الصوفية ومبالغتهم شيئاً كثيراً يدل على إنصافه وتدقيقه .

وقد ذكر عن المغترين من أرباب الأموال طرائف وحقائق تدل على النظر العميق والفهم الدينى الصحيح .

ويتجلى لنا ذلك من خلال حديثه عن غرور العامة وطوائف من الأغنياء والفقراء .

يظهر الغزالى مصوراً حاذقاً يتناول بريشته البارعة مجتمع عصره فيصور مخايله وقسمات وجهه ويجسم وقائعه وتجاعيده ويظهر فى ذلك كله ذكاؤه وسعة اطلاعه ، ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وسلامة تفكيره .

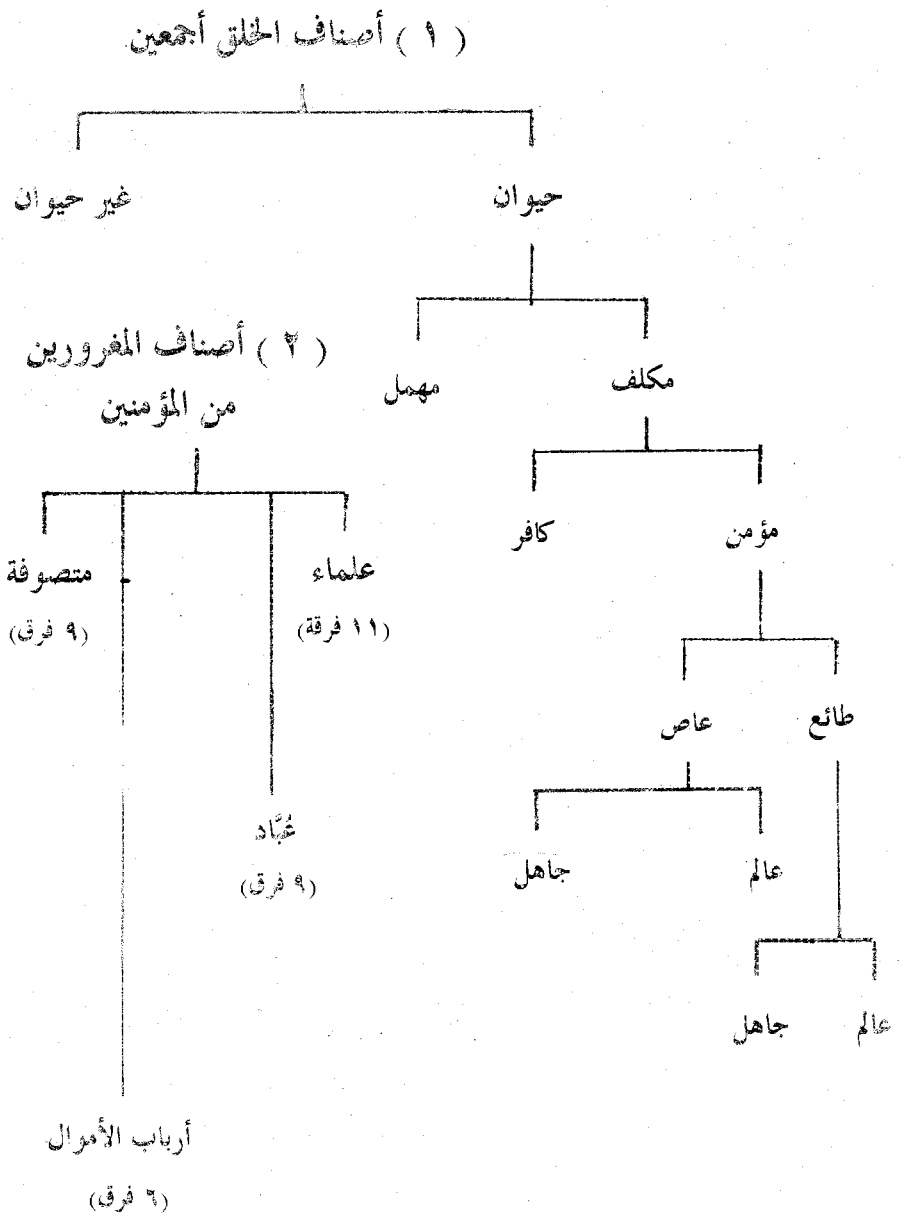

« بيان توضيحي لأصناف المغرورين »

منهج التحقيق

١ ــ خرجت الآيات القرآنية مضبوطة بالشكل .

٢ ــ خرجت الأحاديث ، وأرجعتها إلى أصولها من كتب السنة تخريجاً علمياً .

٣ ــ تناولت غوامضه بالشرح والتبيين ، وعلقت على ما يحتاج إلى تعليق ، وترجمت لمن ورد ذكرهم من الأعلام .

٤ ــ عالجت النص بضبطه ، وإصلاح أخطائه مستعيناً فى ذلك كلما أمكن بالإحياء والنص الهامشى .

٥ ــ وضعت عناوين لأبواب الكتاب ، وفصوله وفرق المغرورين وأقسامهم بغية إخراج الكتاب فى صورته اللائقة ، وهاهوذا كما ترى .

عبد اللطيف عاشور

القاهرة فى جمادى الأولى سنة ١٤٠٦ هـ
يناير سنة ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم العامل حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى رحم الله وعفا عنه : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقة سيدنا محمد وآله وصحبه ؛ هذا كتاب الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين . اعلم أن الخلق قسمان : حيوان وغير حيوان ... والحيوان قسمان : مكلف ومهمل[1] ... فالمكلف من خاطبه الله بالعبادة وأمره بها .. ووعده الثواب عليها ونهاه عن المعاصى وحذره العقوبة ..

ثم المكلف قسمان : مؤمن وكافر .. والمؤمن قسمان طائع وعاصٍ .. وكل من الطائعين والعاصين ينقسم قسمين : عالم وجاهل ..

ثم رأيت الغرور لازماً لجميع المؤمنين المكلفين والكافرين . إلا من عصمه الله رب العالمين .. وأنا بحمد الله أكشف عن غرورهم وأبين الحجة فيه .. وأوضحه غاية الإيضاح . وأبينه غاية البيان بأوجز ما تكون العبارة .. وأبدع ما يكون من الإشارة .

والمغرورون من الخلق ماعدا الكافرين أربعة أصناف :

صنف من العلماء .. وصنف من العباد .. وصنف من أرباب الأموال .. وصنف من المتصوفة .

---

(١) هكذا فى المخطوطة ، أما فى النسخة المطبوعة « غير مكلف »